

وكادوا أن يعهدوا وجهه كجزء لا ينفصل عن القرية كلها: وجده المربع يعترضه حاجبان يتصلان ببعضهما باحدود يعين طرف انه العلوى، ان سعيد الحمضونى نادرا ما يتكلم عن ماضيه، وما ينفك يعتقد ان غدا سيكون احسن من اليوم، يقولون-هناك فى القرية- ان سعيدا اطلق سراحه من المعتقل لانه لم يدين . ويقال انه لم يقبض عليه بعد، وليد المغامرة القاسية . ومع ان سكان السلمة كانوا على يقين كبير ان ثمن مدفع من هذا الطراز لا يمكن انجام من التبرعات، فالقرية في اشد الحاجة الى اي نوع من انواع السلاح، فكيف اذا حصلت على سلاح من نوع جيد؟. لقد بقيت المشكلة بالنسبة لهن تلح الحاجا قاسيا، ولما لم يجدن من يدلهم على حقيقة الأمر، ان سعيد الحمضونى كان قد سلم في ثورة 1936 مدفعا من هذا الطراز ابلى من خلفه بلاء حسنا، لم يكن من اليسيير ان يجمع الانسان ثمن مدفع من طراز الماشينفن . اذن فمن اين اتي سعيد الحمضونى بهذا المدفع ؟ نعم . ان هذا المدفع الاسود صار قوة هائلة تكمن في نفوس اهل السلمة، و هو يعني بالنسبة لهم اشياء كثرة، نوعا من الشعور بالحماية. وكما يرتبط الشيء بالآخر، كانوا يشعرون انه اداة من ادوات المدفع المعقيدة . كالناسفة: كل متماسك لا تنفصل اطرافه عن بعضها . كان المدفع يعني بالنسبة له شعورا هائلا بالطمأنينة، شعورا يوحى بالمنعنة : فهو دائم التفكير بالمدفع، تکاد لا تراه الا وهو يدرّب شباب القرية على استعماله، ويدلهم في نهاية التدريب على المكان الذي وضع فيه خرقه لمسح المدفع، صامت الى حد يخيل للانسان معه انه نسى كيف كان يتكلم الناس، ليجلس وحيدا بقربة الى العشية . ليبتلع كل احساس بالوجود : ان ماسورته تتحرك بغير ما توجيه. كان يشعر بكل هذا و هو منطلق عبر الحقول الباهتة النائمة في اخر الليل . وهز سعيد الحمضونى رأسه و كأنه يواسى نفسه بمصاب ابنه، شيء قوي كالكلابة يجب ان يمسك الفوهه الهاربة الى بطن الدفع. - سيرانا اليهود وانت فوق الحفرة . - ستحرق كفيك بلهب الرصاص. شعر سعيد الحمضونى بنفسيته التي تغدت طويلا بالثورة والدم والقتال في الجبال، - وعاد يصيغ الى المدفع واستخلص من صوت الرصاص ثقة جديدة ليتابع وهو يحاول ان يمضغ الماء: - قرب قرية (ابو كبير) ابعد منها قليلا، في كل مرة يقولون انهم يريدون ان يفحصوا الدم لأن دم الانسان يتغير في خلال أسبوع ونصف . خذ حسن و حسين واذهب الى ذلك المستشفى . يعرفان كيف يذهبان الى هناك. تكون اخر مرة يهجمون بها من هذه الناحية . فعليكم ان تنقلوا المدفع الى الشمال . لأن الهجوم التالي سيكون من هناك . واشتد شعوره بالنار تلسع كفيه بقصوة . واحس احساسا ملحا انه لو كان في صحته العادية لاستطاع ان يقاوم احسن من الان، وراوده شعور قاتم بالندم على انه سلك في شراء المدفع ذلك السبيل، ان وجوده يحافظ على اهميته قبل ان يموت هو، وحاول جاهدا ان يحرر نفسه من سجن ذاته كي ينسى الماء . وعلى صوت الطلقات المتقطعة بانتظام وعنف. ثم شعر باطراهه جمیعها تنكمش کانها ورقة جافة في نهاية الصيف. وجد نفسه في ذلك التنور جنبا الى جنب مع الارغفة الساخنة تحرق تحت السنة اللهب، وشعر بمواساة من نوع غريب، مواساة تشبه تلك التي يراها الوالد في ولد عاش بعد مصرع أخيه، وشيشه القرية كلها الى مقره الاخير.